من أوائل كتاب القصوصة في مصر

بقلم : عباس خضر

كان عبد الله نديم (١٨٤٣-١٨٩٦) اول من استرعى انتباهى ـ من حيث الزمن ـ فى مجال كتابة الأقصوصة . لا اقول انه قصد ان يحدث فنا قصصيا ، انما هى مادة صحفية كتبها بطريقة تلقائية ، فجاءت هكذا ..

كان يصدر فى الاسكندرية جريدته « التنكيت والتبكيت » سنة ١٨٨١ ، ويظهر انه كان يحررها وحده ، وكان ينوع فى موادها ، فجاءت الأقصوصة فى جملة مواد الجريدة المتنوعة . كتب تحت عنوان « عربى تفرنج » الأقصوصة الأولى هكذا :

« ولد لاحد الفلاحين ولد فسماه زعيط وتركه يلعب فى التراب وينام فى الوحل حتى صار يقدر على تسريح الجاموسة فسرحه مع البهائم فى الغيط يسوق الساقية ويحول الماء . وكان يعطيه كل يوم اربع حندويلات واربعة امخاخ بصل . وفى العيد كان يقدم له اليخنى ليمتعه باكل اللحم .

وبينما هو يسوق الساقية وابوه جالس عنده مر بهما احد التجـــار فقال لابيه : لو ارسلت ابنك الى المدرسة لتعلم وصار انسانا .

فاخذه وسلمه الى المدرسة ، فلما اتم الابتدائية ارسلته الحكومة الى اوربا لتعلم فن عينته له .

فبعد اربع سنين ركب الوابور وجاء عائدا الى بلاده ، فمن فرح ابيه حضر الى الاسكندرية ووقف برصيف الجمرك ينتظره . فلما خرج من الغلوكة قرب ابوه ليحتضنه ويقبله شأن الوالد المحب لولده ، فدفعه فى صدره .

فلما وصل به الكفر قامت امه وعملت له طاجنا فى الفرن مملوءا لحما ببصل ، فلما رآه قال لها :

زعيط ـ ليه كترتى الـ ...

معيكة ـ من الـ ايه يا زعيط ؟؟

زعيط ـ من البتاع اللى اسمه ايه ..

معيكة ـ اسمه ايه يا ابنى ؟؟ الفلفل ؟؟

زعيط ـ نو ، نو . دى اللى يبقى لو راس فى الارض .

معيكة ـ والله يا ابنى ما فيه ريحة التوم ..

زعيط ـ البتاع اللى يدمع العينين ، اسمه انيون .

معيكة ـ والله يا ابنى ما فيه انيون ولا . دا لحم ببصل .
زعيط ـ سى سا . بصل بصل ..
معيكة ـ ويا زعيط يا ابنى ، نسيت البصل وانت كان اكلك كله منه ؟؟

معيط شكاه لاحد النبهاء وقال : ولدى توجه لأوربا وحضر يذم بلاده واهله ونسى لغته .

فقال له النبيه : ولدك لم يتهذب صغيرا ولا تعلم حقوق وطنه ولا عرف حق لغته ولا قدر شرف الأمة ولا ثمرة الحرص على عوائد الاهل ولا مزية الوطنية ، فهو وان كان تعلم علوما الا انها لا تفيد وطنه شيئا ، فانه لا يميل الى اخوانه ، ولا يستحسن الا من يعرف لغتهم ، على انه اصبح كالحجل لما أراد أن يقلد الغراب فى مشيته ، وعجز عن التقليد واستحال عليه عوده لطبيعته الأولى ، فأصبح يقفز قفزا وقد خرج عن حد الجنسية وطباع النوعية . ولا يفعل فعل ولدك الا لئيم جاهل بوطنه ، فكم من شبان تعلمت فى اوروبا وعادت محافظة على مذهبهـــا وعوائدها ولغتها وصرفت علومها فى تقدم بلادها وابنائها ، ولم ينطبق عليهم عنوان « عربى تفرنج » .

حدث متخيل على نمط الواقع ، تتوافر له الوحدة والحبكة ، وشخصيات ذات ملامح ناطقة مرسومة من خلال الحوار ، وحوار ناضج كانضج ما يكون الحوار ، وموضوع تخدمه كل هذه العناصر بتركيز لا فضول فيه ، فيما عدا « الخطبة » الأخيرة التى اجراها على لسان النبيه ، وهى كل عيب هذه الاقصوصة . وقد استعمل هذه الشخصية فى اقاصيص اخرى كتبها على هذا النمط ، وهى تشبه « الحارث بن همام » و « عيسى بن هشام » من حيث وضعها للرقابة على بقية الأشخاص والحكم على تصرفاتهم ، وواضح أن الكاتب يتقمصها ويتكلم على لسانها كلاما مباشرا .

والموضوع الذى تعالجه الاقصوصة ، وهو تنكر بعض المبعوثين الى الخارج لوطنهم ، وترفعهم على اهلهم ومواطنيهم ، وتنكرهم لكل القيم القومية ، طرق فى القصص بعد ذلك بعشرات السنين ، كما فى « قنديل أم هاشم » ليحيى حقى ، على اختلاف كبير فى المعالجة الفنية بطبيعة الزمن والتطور .

وقد تناول عبد الله نديم فى اقاصيص اخرى موضوعات اخرى مستمدة من اهتمامات عصره ومشكلات مجتمعه ، واهتم اهتماما خاصا بشرور الاجانب فى مصر واستغلالهم للبلاد واهلها فى حماية الامتيازات الأجنبية ، ففى قصة الفلاح والمرابى يجرى الحوار الآتى بين الزراع والتاجر الاجنبى :

الزارع ـ عاوز جنيه بالفرط يا سيدى ..
التاجر ـ فرط المائة عشرون كل سنة .
الزارع ـ أعمل اللى تعمله .
التاجر ـ شيل عشرين من مائة تبقى كام ؟
الزارع ـ هو انا كاتب ؟؟ شوف يفضل كام .
التاجر ـ يبقى سبعين ..

الزارع ـ يدوب كده .

التاجر ـ دلوقت صار لى مائة جنيه ، ضم عليهم عشرين واكتب الكمبيالة .

الزارع ـ اكتب وخد الختم أهو ..

وعند السداد يصبح الفلاح مدينا للتاجر ، بمائتين وعشرة جنيهات ونصف جنيه .. ولما يعاتب « النبيه » التاجر على هذا الاحتيال يقول له التاجر الأجنبى :

« يا خبيبى ، الزارع خمار ، وانا اذا كان موش يعمل كده موش لازم يجى تاجر بنكرجى بعد خمسة سنة .. » .

وحوار هذه القصة والقصة السابقة يدلنا على الاحساس الغريزى بفن القصة لدى عبد الله نديم ، فانه لم يتصل بهذا الفن فى أدب الغرب الا ما عسى أن يكون قد قراه من الروايات القليلة التى ترجمت أو مصرت .

وفى اقصوصة « سهرة الأنطاع » يقول لنا انه دخل مع هؤلاء « الأنطاع » ، الذين اجتمعوا فى بيت موسر كبير منهم ، فرآهم واجمين صامتين ، فتبادر الى ذهنه اولا ان رب الدار قد نزل به مكروه ، وجاء هؤلاء يواسونه وجلسوا معه محزونين . ولكنه وجه اليهم عدة اسئلة عما يجدر بهم ان يشغلوا افكارهم به كتقدم اوربا وانتشار تجارتها ، او ما يستغلوا فيه ثرواتهم لنفعهم ونفع البلاد ، او ما اتت به الصحف من الأنباء ، فأجابه صاحب الدار بأن كل ذلك لا يهمهم وان تقدم البلاد او تأخرهم لا يفيدهم شيئا احسن مما هم فيه ، وان الذى يهمهم هو مزاجهم وتناول « مكيفاتهم » وتبادل النكت والضحك . وبهذا تبينت له حقيقة « الانطاع » وهى أنهم اجتمعوا لتعاطى (الكيف) وانهم يجلسون صامتين فى انتظار دواعى الانس ، وقد وصف مجلسهم وتكاسلهم فيه وصفا دقيقا مميز الملامح والتفصيلات .

ومن العجيب ان تقوده الغريزة القصصية ايضا الى كتابة ما يشبه القصة الرمزية ، وذلك فى اقصوصة بعنوان « مجلس طبى لمصاب بالافرنجى » وكانت مصر قد وقعت فريسة للدين الأجنبى على يد « اسماعيل » وبسبب اسرافه ولهوه ، فتدخل الأجانب فى شئونها بحجة هذا الدين ، وفرضوا عليها ما سمى بالمراقبة الثنائية وانشىء صندوق الدين .

فى القصة شاب (يرمز الى مصر) يصفه الكاتب بانه قوى سليم البنية جميل الطلعة ، يحوطه اهله بالرعاية ويحمونه من كل اذى ، ولكن رجلا (يرمز الى الأجانب) ماهرا اتقن فن الخداع والاحتيال استطاع ان يتسلل اليه ، فأوهم اهله بانه من ذوى الورع والتقوى ، فانخدعوا به وامنوا له واسلموه اياه ، فراح يعرضه فى الأسواق والطرقات ، وجلب له من الغوانى الحسان من تعارض الشمس بحسنها وتكسف البدر بنورها ، وأوعز الى الحسان الغوانى ان يغازلن اهله بنغما تحرك الجبان ، فانصرف الأهل اليهن ، وغفلوا عن فتاهم ، فانفرد به الدجال

المحتال ، واغرى به الفتيات الملاح ، فتمنع حينا ، وعصمه اولا حياؤه وطهره الذى نشأ عليه ، ثم استجاب للاغراء الشديد والخصم العتيد ، فسار فى الطريق التى رسمها المنافق الخداع . وما هى الا رشفة كأس حتى اصـــيب بالداء الافرنجى (الزهرى) فاصفر لونه وارتخت اعضاؤه وذهبت بهجته وغارت عيناه وتشوه وجهه وتهدلت محاسنه بقبائح تنفر منها الطباع . وفطن بعض اهله لأمره ، فبكى وانتحب واخذ يذرف العبرات ويصعد الزفرات ، وجمع له الأطباء يشخصون داءه ويركبون له الدواء لعله يبرأ من علته ويقف سريان الداء ، واقبل اهله متلهفين لمعرفة راى الأطباء وسماع نصحهم ، فطلبوا اليهم الهدوء ومساعدتهم فى العناية به وحفظه من ان يصل اليه اجنبى غريب ، واخذ اهله يعملون بمشورة الأطبـــاء ويبذلون فى خدمته والمحافظة عليه ما وسعهم من الجهد .

وعيب هذه الأقصوصة الرمزية ان حادثها الظاهر الذى يرمز غير مبرر فى بعض اجزائه ، كعرض المحتال الشاب فى الأسواق ، وهى الى هذا تعتمد على السرد والوصف ، وليس فيها حوار او مشهد محدد مصور .

ولكننا اذا نظرنا الى هذا الصنيع القصصى وجدناه شـــيئا عجيبا فى ذلك الوقت . كانت ثقافة عبد الله نديم هى ثقافة الأدباء من امثـاله الذين لم يتصلوا بالأدبى الغربى ، لا بطريق مباشر ولا غير مباشر ، فلم يزد ما عرفوه او ما عسى ان يكون بعضهم قرأه ، على تلك الروايات التى مصرت ولم يكن لها طابع ولا سمات ادبية ، الى ما عرض من مسرحيات مصرت هى ايضا كما مصرت الروايات .

ولا بد ان عبد الله نديم قد تأثر بها فى بضع تمثيليات مدرسية الفها لتلاميـذ مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بالاسكندرية ، وكان ناظرا لها فى الوقت الذى اصدر فيه « التنكيت والتبكيت » .

والواقع ان عبد الله نديم كان غريبا فى عصره وسابقا لزمنه ، كما يقال فى مثله، وقد عدل عن السجع والزخارف اللفظية منذ اصدر « التنكيت والتبكيت » واطلق اسلوبه متحررا منها ، على حين ظلت الصحافة نفسها تصدر مرصعة بالسجع بعد ذلك عشرات السنين . ، ولو انه اتصل بأصول الفن القصصى ودرسه وتوفر عليه ، او امهلته الأحداث السياسية ، لكان لنا منه قصاصا رائدا تقدم بنهضة القصة عندنا نحو اربعين سنة .

كتب عبد الله نديم هذه الأقاصيص فى الوقت الذى بدأ فيه «جى دى موباسان»، و « انطون تشيكوف » استاذا القصة القصيرة فى العالم ، او لعلهما لم يكونا قد بدأ بعد كتابة القصة القصيرة . نشأ كل من موباسان وتشيكوف فى بيئة قصصية وسبقتهما تجارب فى لغتيهما ولكن عبد الله نديم شق بهذا الذى كتبه على هـذا النسق طريقا فى العربية لم يسبق اليه . ربما كان للعالم منه استاذ فى فن القصة القصيرة لو توافرت له ثلاثة امور : تجارب سابقة فى لغته ، وبلد آمن من الغـزو الأجنبى لا يشغله الدفاع عنه ، ولغة منتشرة فى العالم .

لقد كان مشغولا بفكرة الاصلاح الاجتماعى الى جانب همه الوطنى وتطلعاته القومية ، التى بذرها او اثارها فى نفسه ، وفى نفوس غيره من شباب ذلك الزمن ، جمال الدين الأفغـانى . فحمل هم بلاده وأرقه ما وصلت اليه من ضعف وما لقيته من هوان امام الغزو الأجنبى فى مختلف صوره .

ما بدا النديم بتلك الأقاصيص فى « التنكيت والتبكيت » حتى جذبته الأحداث، وعهد اليه « عرابى » فى نشر الدعوة الوطنية عن طريق التجوال فى مختلف بلاد القطر ، وكان يتذرع الى هذه الرحلات بدعوى انه يحصل اشتراكات الجريدة ، ورأى عرابى أن الأمر اجل من التنكيت ، فاتفق معه على تغيير اسم الجريدة ، وسميت « الطائف » ، ودخل الأمر فى جد اكثر ، اذ هوجمت البلاد عسكريا ، وجند النديم قلمه فى المعركة ، ثم كانت فاجعة الاحتلال ، واختفى النديم تسع سنوات قبض عليه بعدها ، ثم عفى عنه ، ثم نفى الى الخارج ، ثم عاد ، واصدر جريدة « الأستاذ » ولم يعد الى كتابة الأقاصيص .

وهو فى الواقع لم يكن يقصد احداث فن قصصى فى ادب العربية ، انما كان ذلك شكلا هدته اليه فطنته ، أو قل روح الفنان الكامنة فيه ، الى ان يتخذه اداة لنقد المجتمع وبث افكاره الاصلاحية ، على اننا سنرى هـــذا الدافع الاجتماعى الاصلاحى فى محاولات قصصية بعد ، حتى فى القصص الفنية الناضجة نفسها .

نشرت اقاصيص النديم فى بضعة اعداد من جريدته الأولى ، ثم طواها الزمان عن الأبصار ، وظلت فى طياته حتى حفظت صحائفها واستترت فى مخـــازن دار الكتب بالقلعة . وما كان اسعدنى بعطر الفن يهبط على من صفحات صفراء ملصقة اطرافها المتآكلة بقصاصات ورق شفاف .

لبيبـــه هاشـــم

كان « المعلم » الثانى من معالم طريق الأقصوصة المصرية ، قصص « لبيبة هاشم » ــ (١٨٨٠ ــ ١٩٤٧) ، وهى لبنانية الأصل ، جاءت الى مصر مع اهلها وهى صغيرة ، واقامت وتزوجت بها ، وتتلمذت لابراهيم اليازجى صاحب مجلة « الضياء » ، وكانت هذه المجلة نصف شهرية وتغلب عليها الموضوعات الأدبيـــة واللغوية ، اذ كان صاحبها من رجال اللغة فى عصره ، وكانت تنشر فى كل عـــدد « رواية » فى باب « فكاهات » وهى قصص قصيرة مترجمة وان لم يذكر الكاتب المترجم عنه . وقد نشرت فى سنتها الأولى قصتين مؤلفتين فقط احداهما لموسى صيدح ، والثانيـــة للبيبـــة هاشم ، أما الأول فلم نر له قصصا مؤلفة بعد ذلك ، وقصته لا تختلف كثيرا عن قصة لبيبة هاشم ، ترمى كل منها الى حكاية حادثة مسلية فيها شيء من الغرابة وشيء من الوعظ يفحم احيانا ، كما تقول لنا لبيبـــة هاشم فى اول قصتها « احسان هانم » :

« يأذن لى القارىء ان اقص على مسامعه حادثة جرت حقيقة ، وهى مع ما فيها من غرابة الواقعة وفكاهة الحديث لا تخلو من فائدة للمطالع اذ تنبهه الى التحذر من مثلها مما يمكن حدوثه فى كل زمان ومكان » .

نرى كثيرا فى قصص المحاولات الأولى حرص الكاتب على امرين ، الأول التنبيه الى أن حوادث القصة وقعت فعلا وان كانت اغرب من الخيال ، والثانى النص على فائدتها وعبرتها ، وكثيرا ما يكون هذا فى تعليق اخير ،

ونلاحظ الأمر الأول حتى فى القصص المترجمة ، ففى احداها يبداها المترجم هكذا : « هى حادثة واقعية كتبها عن نفسه واحد من مفتشى الشحنة (البوليس) بلندن يقال له ادوارد قال ... » :

ويبدو لى ان ذلك راجع الى أن فن القصة كان يتقدم الى الناس فى استحياء وارتياب ، لانهم يصمونه بالعبث ومجرد اللهو ، ولا ياخذونه مأخذ الجد ، فكان يحاول ان يؤكد نفسه وينفى عنه تهمة « التلفيق » الخيالى والتفاهة المسلية .

وتقص لبيبة هاشم ـ بعد تلك المقدمة ـ حادثة تجرى وقائعها فى القسطنطينية، ولكى تؤكد انها جرت حقيقة تذكر انها وقعت مساء يوم ١٥ يونيو سنة ١٨٩٨ . فتاة جميلة فى ثياب راهبة طرقت باب قصر احدى الأسر ، ففتح لها البواب الذى فتن بجمالها ، وقالت لصاحبة القصر انها راهبة من اخوات المحبة فى مصر ارسلتها رئيسة الدير لبعض الاغراض فى تركيا ، وقد جاء عليها الليل فى الطريق ، فلجأت الى هذا القصر لما سمعت عن اهله من كرم الأصل والأخلاق ، وتريد أن تبيت الليلة ، فرحبت بها صاحبة الدار ، وانزلتها فى احدى غرفه ، واستبد بالبواب الشوق الى رؤية الفتاة التى وقع حبها فى قلبه أول ما رآها . فتسلل الى غرفتها ونظر من ثقب الباب فرآها مدججة بالسلاح ، وقد خلعت ثياب الرهبنة ، وتتدلى من حزامها سلسلة مفاتيح ، ورآها تشير بالمصباح الى آخرين فى الخارج ، وكشف امرها لسادته . وقبض عليهما رجال الشرطة هى وافراد العصابة ، وكان كشف امر هذه اللصة من (حسنات الحب) .

والقصة مكتوبة بأسلوب مسترسل خال من التكلف ملائم للسياق القصصى متقدم بالنسبة لعصره ، وشخصياتها موصوفة من الخارج تتحرك تبعا لما تريد الكاتبة من التشويق والمفاجأة ، وليس فيها انفعال بموضوع تعالجه معالجة فنية ، شأن كل القصص فى تلك الفترة ، ونراها تتكلف الدلالة على المغزى الذى اشارت اليه فى المقدمة ، ومن قولها فى هذه المحاولة : « والحب كم له من حسنات » .

واستمرت لبيبة هاشم تكتب فى مجلة « الضياء » قصصا قصيرة من هذا اللون على قلة ، الى جانب مشاركتها فى القصص المترجمة للمجلة ، ولما توقفت « الضياء » اصدرت هى مجلة « فتاة الشرق » على غرارها سنة ١٩٠٦ وزادت عليها العناية بشئون المرأة ، واستأنفت فيها نشر قصصها المؤلفة ، وظل مفهوم القصة القصيرة عندها كما هو ، حوادث كثيرة تقوم على المبالغة والتشويق والمفاجأة والوعظ . واكثر هذه الحوادث يدور بين لبنان ومصر وسوريا وتركيا ، ومعظمها يشبه ملخص القصة الطويلة . وقد كتبت قصتين طويلتين هما « شـــيرين » و « قلب الرجل » نشرتهما مسلسلتين فى « فتاة الشرق » ثم جمعت كلا منهما فى

كتاب ، ولم تجمع قصصها القصيرة . وقد وفقت فى رواية « شيرين » أكثر من « قلب الرجل » الأولى اجتماعية عصرية ، والثانية محاولة تاريخية ، واجادتها الفنية فى « شيرين » لا نراها فى سائر ما كتبته من قصص .

ومن قصصها القصيرة التى نشرتها بمجلتها فى السنة الأولى قصة « جزاء الاحسان » تبداها ـ على عادتها بتحديد تاريخ وقوع الحادث ـ هكذا :

« فى أواسط ديسمبر سنة ١٨٩٨ كان يرى منزل حقير فى احدى شوارع الاسكندرية مؤلف من غرفتين صغيرتين تمثلان للناظر حالة الفقر والشقاء » .

فى ذلك المسكن مريض يطلب الى زوجته ان تأتى بطبيب ، فتذهب الى أحد الأطباء ، فيكتفى الطبيب ببعض وصفها للمرض ، لأنه لمح علامات فقرها ، ويكتب لها تذكرة الدواء ، وتعمل جاهدة للحصول على ثمن الدواء ، وهو عشرة قروش ، ثم يراها شاب فى الطريق فيرثى لها ويعطيها ريالا .

وتلجأ الى مصادفة ظاهرة اذ حدث أن سائق سيارة يدهس بسيارته غلاما فى الشارع ، الغلام ابن بطلة القصة ، والسائق هو الشاب الذى كان قد منحها الريال فانقذ حياة زوجها ، وعند المحاكمة تتقدم الى القاضى وتطلب تبرئة المتهم « جزاء الاحسان » .

وهى قصة وعظية كما ترى وحوادثها مفككة ، ولكن قيمتها فى عرض الكاتبة لمظاهر الفقر ومظاهر الغنى والمفارقة بينهما فى المجتمع ووصف ذلك بدقة ، وكانت هذه النغمة الرومانسية قد ظهرت فى الأدب العربى اذ ذاك بتأثير الأدب الفرنسى، وخاصة على يد المنفلوطى ، ولهذا نرى القصة تشبه عبرات المنفلوطى .

ونتتبع هذه الكاتبه مع مرور الزمن،فلانراها تتقدم الا فى الأسلوب وطلاقة التعبير ، اما المفهوم الفنى للقصة القصيرة فلم تصل اليه ، برغم مزاولتها للترجمة القصصية ، ونلحظ أن القصص القصيرة التى كانت تترجمها ولم تكن تذكر اسم كاتبها ، حوادثها كثيرة مضغوطة ، مما يدل على أنها فى الأصل قصص طويلة ، وهى فى هذا تعد انموذجا للمترجمين فى عصرها ، وعلى هذا يبدو لى ان القصة القصيرة بمعناها الحديث على نحو ما كتبها روادها فى الغرب ، امثال موباسان وتشيكوف وادجار آلان بو ، لم تظهر فى اللغة العربية مترجمة الا متاخرة . اما متى ظهرت مؤلفة فنحن فى الطريق اليها .

قصتان لمنصور فهمى

ومما يدل على نوع فهم لبيبة هاشم للقصة القصيرة انها نشرت فى مجلتها « فتاة الشرق » يناير سنة ١٩١٩ قصة قريبة من سمت القصة القصيرة الفنية الحديثة ، نشرتها فى غير باب « فكاهات ـ رواية » المخصص لنشر القصص فى المجلة ، نشرتها كمقال ، كان العنوان « التوبة » وكتب تحته « بقلم حضرة الكاتب الاجتماعى القدير الدكتور منصور فهمى » وهى تصور حمالا يعيش فى مدينة

اسيوط مع امه العجوز وابنه الذى ماتت أمه ، يسكر الحمال ذات ليلة ويعربد ، ثم يعود الى بيته فى وقت متأخر ، ويدق الباب ، فلا يسعفه احد بالفتح ، فيسب ويلعن ، واخيرا استيقظ ابنه فقام وفتح له ، فضربه وشج راسه ، وهرب الصبى واختفى ، ويصور الكاتب حزن البطل على ابنه ، وبحثه عنه دون طائل ، ثم توبته على يدى شيخ متصوف ، تصويرا واقعيا ، وان كان يجنح فيه اخيرا الى جـــو غريب من كرامات المشايخ ، لا شك انه تأثر فيه برومانسية الغرب الى جانب ما فى اعماقه من الايمان بمثل هذه الكرامات .

على اننا نرى فى المجلة نفسها بعد ذلك بثلاثة اشهر (مارس سنة ١٩١٩) قصة اخرى للدكتور منصور فهمى نشرت فى باب القصص (فكاهات ــ رواية) قد يكون تصحيح الوضع بناء على اعتراض الكاتب وقد يكون لسبب آخر . وفى ذلك الوقت كانت قد بدات جريدة السفور تنشر بواكير القصة الفنية القصيرة ، ولكن اكثر الصحف والمجلات ــ ومنها فتاة الشرق ــ لا تزال بعيدة عن هذه البواكير ، ما عدا قصة منصور فهمى وعنوانها « ابن الحاج نصر » .

تبدأ بهذه البداية التى تهب كريح الشمال الآتية من شمال البحـــر الأبيض المتوسط :

« أنا ذا ابن الحاج نصر ، الله .. الله .. ما الذى حل فى الدنيا ؟؟

قال ذلك بصوت مرتفع .. » .

والحاج نصر كان غنيا عريقا فى القرية ، ولكنه اسرف واتلف ماله ثم مات ولم يترك لابنه شيئا ، واضطر ابن الحاج ان يعمل اجيرا فى ارض رجل حديث الغنى بالقرية ، ومرة اهانه الخولى ، فخرج من البلد ثائرا حتى مر برجل كان رفيقـــا لأبيه ، فاكرمه وفاء منه وعرفانا لفضل سيده الراحل ، ثم اتى اليه امين المخازن بأمر صاحب الأرض واسترضاه ، وعاد الى العمل فى الساقية ، حتى فاجأه الصرع وهو الى بئر الساقية .

وفى خلال ذلك رسم لنا الكاتب شخصية « ابن الحاج » كنموذج لعزيز قوم ذل واعطانا لمحات انسانية وشاعرية فى تصوير العلاقات بين افراد القصة .

ولم نر بعد قصصا لمنصور فهمى ، فقد عدل عن كتابة القصص وانصرف الى نواح اخرى من النشاط الثقافى واعمال الوظائف التى تولاها . واليقين ان هـذه الباكورة كانت ــ لولا ذلك ــ ستفضى الى ثمرات انضج وكنا كسبنا كاتبا من كتاب القصة البارزين .